بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

{ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** }

{ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذين خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسآء واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** } { **يا الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** }

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

وبعد : فهذه ورقة عمل أتقدم بها للمشاركة في ***ملتقى خادم الحرمين الشريفين الثقافي السادس*** في جوهانسبيرغ -دولة جنوب أفريقيا -تحت عنوان: (الدعوة الإسلامية في أفريقيا ومؤسساتها.) وموضوع هذه الورقة :

الأسس العملية للدعوة الإسلامية (المقاصد والوسائل)

والحديث عن هذا الموضوع يحتاج إلى :

1- تمهيدٌ في بيان المراد بالأسس العملية والمقاصد والوسائل.
2- فصلٌ أول في الأسس العملية لمقاصد الدعوة.
3- فصلٌ ثان في الأسس العملية لوسائل الدعوة.
4- خاتمةٌ تتضمن : خلاصة البحث، والتوصيات.

والله المسئول أن يوفقنا لما فيه الخير والسداد.

1-تمهيدٌ في بيان المراد بالأسس العملية والمقاصد والوسائل.

الأسس العملية للدعوة هي:كل عمل دعوي يضمن نصرة الحق وإظهاره، أو إزالة المنكر أو تقليله على أجمل الطرق وأحسن الأساليب. والأصل فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

(**نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه**) (رواه ابن حبان في صحيحه وأبونعيم في المستخرج على صحيح مسلم والحاكم في المستدرك وغيرهم)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : **(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان**) رواه مسلم.

المراد بمقاصد الدعوة: إن مقاصد الدعوة التي دل استقراء نصوص الشريعة عليها يمكن إجمالها فنقول هي-: تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم في العاجل والآجل.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله :" إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها" (منهاج السنة النبوية 551/1، 2/ومجموع الفتاوى48/20)

أما تفصيلا فيمكن أن يقال هي:

1-إخراج الناس من الظلمات إلى النور، أي إخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وإخراج المبتدع من ظلمة البدعة إلى نور السنة، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، والجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

2- تبليغ رسالة الإسلام كاملة.

3- حفظ الدين وحمايته من عبث العابثين وتأويل الجاهلين.

5- إشاعة الأمن والسلام والاستقرار في ديار الإسلام وديار المعاهدين.

المراد بوسائل الدعوة: قال ابن كثير: "الوسيلة هي: ما يتوصل به إلى المقصود" (التفسير97/3)

يراد بوسائل الدعوة –اصطلاحا- ما يستعين به الداعي على تبليغ رسالة الله إلى المدعوين على نحو مشروع نافع مثمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " فالله أمر رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- بالدعوة إلى الله تارة ، وتارة بالدعوة إلى سبيله ، كما قال تعالى:((ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ))، وذلك أنه قد علم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لابد فيما يدعو إليه من أمرين :

أحدهما:المقصود المراد.

والثاني:الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود ، فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله ، وتارة إلى سبيله ، فإنه سبحانه هو المعبود المراد المقصود بالدعوة" (مجموع الفتاوى162/15)

الفصل الأول: الأسس العملية لمقاصد الدعوة

وتحته ثمانية مطالب:

المبحث الأول : ارتباط الأهداف العملية بالأسس العقدية والعلمية للدعوة.

إن مقاصد الدعوة الإسلامية مرتبطة بالأسس العقدية ارتباطا وثيقا، يتجلى ذلك لنا إذا عرفنا أن أنبياء الله كلهم بلا استثناء ركزوا في دعوتهم على ترسيخ الأسس العقدية أولا وقبل أي شيء ، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (لأعراف: من الآية59)
وقال تعالى: (وَإِلى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ) (لأعراف:65)
وقال تعالى: (وَإِلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (لأعراف: من الآية73) وقال تعالى: (وَإِلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (لأعراف: من الآية85) وقال تعالى: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (المائدة: من الآية72)
وقال تعالى في شأن الجميع :(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل:36) وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الانبياء:25) وقال تعالى: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) (الزخرف:45)
وهذا بيان من الله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بأن الدعوة الصحيحة الناجحة لا بد أن ترتبط أهدافا ومقاصد بالدعوة إلى أسس العقيدة، والداعية يجب أن ينطلق في دعوته من هذا المنطلق الذي أجمع عليه أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.
ولا بد كذلك من ربط الأهداف العملية بالأسس العلمية، وأساس العلوم العلم بالله ؛ لأنه أصل كل عمل وجامعه كما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : "فالعلم بالله أصل كل علم وجامعه،وذكره أصل كل كلام وجامعه، والعمل له أصل كل عمل وجامعه وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته وإذا حصل لهم ذلك فما سواه إما فضل نافع وإما فضول غير نافعة وإما أمر مضر،ثم من العلم به تتشعب أنواع العلوم ومن عبادته وقصده تتشعب وجوه المقاصد الصالحة والقلب بعبادته والاستعانة به معتصم مستمسك قد لجأ إلى ركن وثيق واعتصم بالدليل الهادي والبرهان الوثيق فلا يزال إما في زيادة العلم والإيمان وإما في السلامة عن الجهل والكفر وبهذا جاءت النصوص الإلهية في أنه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات إلى النور" (مجموع الفتاوى 16/2)
لكي يحقق الداعية الغاية والمقصود، ويسلم سبيله في الدعوة من الالتواءات والانحرافات، ولكي يسلك سبيل الله ويدع السبل المتفرقة، فلابد من العلم والبصيرة في الدعوة إلى الله تعالى:((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)). والبصيرة هي العلم ، علمٌ بالله وبسنة رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- ، علمٌ يجعل صاحبه وقافاً عند حدود الله ،

طالباً للحق مذعناً له متى ظهر وإن خالف هواه، علمٌ يجلو القلوب من أصدائها ويزرع فيها تقوى الله وخشيته وحب الله وحب رسوله ، وحب عباده المؤمنين وحب العمل الذي يقرب إلى حب الله ورسوله.

والأسس العلمية التي ترتبط بها الأهداف العملية للدعوة كثيرة، نذكر منها:

1-العلم بالكتاب والسنة فقهاً واستنباطاً واستدلالاً.

2-العلم بالواقع الدعوي وحال المدعوين .

3-العلم بأولويات الدعوة.

4-العلم بضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقواعد المصلحة والمفسدة.

وهكذا نجد أن الأهداف العملية والأسس العقدية والعلمية للدعوة الإسلامية في تناسق تام وتناغم لا يتطرق إليه شيء من التنافر و التضاد.

المبحث الثاني: تحقيق العبودية لله في أعمال الدعوة.

إن العبد إنما خلق لعبادة ربه عز وجل، والداعية في دعوته يسعى إلى تحقيق العبودية لله لذلك جاءت الآيات القرآنية تترى آمرة قدوة الدعاة إلى الله وإمامهم بالقيام بهذه المهمة، فقال تعالى : (وَادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيم) (الحج: من الآية67)

وقال تعالى: (وَادْعُ إِلى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِين) (القصص: من الآية87)

وقال تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ} (الرعد:من الآية36)

فنلاحظ كيف ربط بين الدعوة وبين البراءة من الشرك في آية القصص وآية الرعد مما يدل على أن الداعية إنما يسعى إلى تحقيق العبودية الخالصة لله والبراءة من عبادة غيره، ورغم أن الأمة تابعة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله باعتبار أن الآيات التي تأمره صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الله يدخل فيها المسلمون جميعا؛ لأن الأصل في خطاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم دخول أمته فيه إلا ما استثني ، رغم ذلك فقد جاءت الآيات مؤكدة أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة على قدر الطاقة وعلى قدر العلم، قال تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:108)

وقال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: من الآية110) وقال تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (التوبة: من الآية71) وقال تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (التوبة: من الآية71)

وحتى يحقق الداعية هذه العبودية الخالصة لله على خير وجه يحتاج إلى مواصفات عديدة يجمعها ثلاثة أمور: **الأمر الأول**: **الفهم الدقيق**، المبني على العلم قبل العمل:- فهم العقيدة الإسلامية فهما صحيحا مستندا إلى أدلة الكتاب والسنة حسب أصول السلف –وفهم غايته في الحياة ومركزه المتميز بين البشر.

- وفهم أولويات الدعوة إلى الله وقواعد النصيحة وضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر الثاني : **الإيمان العميق**، بالله وما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إيماناً لا يتطرق إليه شك ولا ريب، إيماناً يثمر التقوى ومحبة الله وخوفه ورجاءه ،واتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل أموره، قال تعالى :(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه) (البقرة: من الآية285)

الأمر الثالث: **الاتصال الوثيق** ، بالله تعالى في جميع أموره والتعلق به والتوكل عليه والاستعانة به والإخلاص له والصدق معه في جميع الأقوال والأفعال.

يقول ابن تيمية رحمه الله : "والدعوة هي الدعوة إلى الدين ، وأصله العبادة، والغاية من إنزال الكتب، وإرسال الرسل أن يعبد ولا يشرك به أحد" (الرد على المنطقيين 114-115)

ويمكن تلخيص الباب في ما يلي:

1- أن الدعوة عبادة والداعية لابد له من تحقيقها في نفسه أولا.
2- الإخلاص وعدم الإشراك بالله شيئا.
3- دعوة الناس إلى تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له.
4- الاتباع والابتعاد عن الابتداع في الدين.

المبحث الثالث: الحفاظ على مفهوم الجماعة المسلمة.

إن من ضروريات الدعوة الإسلامية الحفاظ على كيان الأمة ومركز قوتها وهو الجماعة وجاءت الآيات والأحاديث في الأمر بالحفاظ على الجماعة المسلمة، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: 102- 103)

روى ابن جرير رحمه الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "(واعتصموا بحبل الله جميعا) قال: الجماعة" (جامع البيان 30/4-31)

وقال ابن جرير: "يريد بذلك تعالى ذكره : وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه من الألفة على كلمة الحق والتسليم لأمر الله." (الجامع30/4)

وقال ابن كثير: "وقوله : (ولا تفرقوا) أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة" (تفسير القرآن العظيم 389/1)

أما حقيقة الاعتصام بكتاب الله فقد لخصها ابن القيم رحمه الله تعالى فقال:

"والثاني اعتصام بوحيه وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم ومعقولاتهم وأذواقهم وكشوفاتهم ومواجيدهم فمن لم يكن كذلك فهو منسلٌّ من هذا الاعتصام فالدين كله في الاعتصام به وبحبله علما وعملا وإخلاصا واستعانة ومتابعة واستمرارا على ذلك إلى يوم القيامة" (مدارج السالكين 323/3)

وروى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))** (صحيح مسلم 1999/4)

وعلى الداعية أن يحرص كل الحرص على كل عمل مشروع يؤدي إلى وحدة الصف ويبعد عن التسبب في التفرقة بين المسلمين ، وينضبط ذلك بأمور:

1- أن يكون الاجتماع على الحق، ونلاحظ ذلك في عبارة الإمام الطبري السابقة حيث قال:"والألفة على كلمة الحق" فإنه بدون هذا الضابط لا يكون الاجتماع صحيحا.

2- الابتعاد عن موجبات القطيعة في الأعمال الدعوية،ومن هنا حرم الإسلام الغيبة، والنميمة، ونهى عن القذف والفحشاء وغلّظ في تحريم الكذب وجعله بابا ووسيلة إلى النار وبئس المصير.

3- محاربة الدعوات والشعارات الجاهلية:حيث كان من المواطن التي يشتد فيها غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنكاره تلك المواطن التي يُتنادى فيها بغير الإسلام، وتُرفع شعارات ذات علاقة بالجاهلية، ويجتمع فيها على روابط أرضية ما أنزل الله بها من سلطان، فقد تنادى المهاجرون والأنصار يوما على نحو لا يخلو من عصبية فغضب صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا وذم صنيعهم ذما عظيما: **((فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا**

للمهاجرين فسمع ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فقال ما بال دعوى جاهلية؟! قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال دعوها إنها منتنة)) (رواه الشيخان)

انظر كيف أغلظ لهم في الإنكار مع أن الانتساب إلى الأنصار والمهاجرين أمر مشروع يتفق مع تعاليم الشريعة، بل إن الله هو الذي سماهم بهذا الاسم، فكيف إذاً بالشعارات الجاهلية والعصبيات القومية والعنصريات البشرية، والوطنيات الإقليمية؟ إنها جميعا رايات مفرقة ما أنزل الله بها من سلطان، ومما لاشك فيه أن الدعاة في أفريقيا من أشد الناس احتياجا إلى تطبيق هذه المفاهيم الإسلامية التي تحفظ للأمة كيانها وتماسكها.

4-تربية الناس على الاجتماع على رابطة الدين التي لا تفرق بين الناس على أساس بلدانهم وأجناسهم ولغاتهم، ويجعل معيار الأكرم والأفضل على التقوى، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13)

5- تعليم الناس الإسلام الصحيح المصفي الذي لا يشوبه شائبة من الشوائب الغريبة عنه وهو الإسلام المنبني على دلائل الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، يقول الدكتور مصطفي حلمي: "وإذا كان المسلمون يلتمسون اليوم طريقا للنهوض فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي" (قواعد الاتجاه السلفي ص13)

المبحث الرابع : الارتباط بمعنى الأخوة الإسلامية.

من أثمن ما يملكه المسلم في هذه الحياة الدنيا بعد الصلة بالله الأخوة الإيمانية التي عقدها مع من يحبهم في الله، وتعاهد معهم على العمل سوية في سبيل نصرة دين الله. هذه الأخوة من أقوى الأسباب المعينة على مجابهة الصعاب والتحديات، وحل المشكلات التي تعترض الطريق، وبه يشعر المسلم أنه ليس وحيداً، فهناك من يشد أزره ويضع يده على يده، غير أن هذه الأخوة قد تعكر صفوها هنات وهزات، قد تكون صغيرة ولكنها تكبر مع الأيام ويكبر أثرها، فتنفر القلوب، وتقع الوحشة وهذا مزلق خطير يجب على الأخ المسلم تجنبه فخسارة أخ سني لا يعوضها شيء.

من هنا لا ينبغي للداعية أن يغيب عنه لحظة ما للمحافظة على الأخوة الإسلامية من أهمية، فمتى غفل عن ذلك فقد أصيبت دعوته بنقص في التطبيق أو خلل في المنهج لا يعالج إلا بمراجعة النفس وإحياء الأخوة من جديد.

فقد اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإحكام الربط بين دعوته وبين نشر المحبة والإخاء بين المسلمين إلى أقصى الحدود مما كان له الأثر البالغ في قوة ذلك الجيل وتماسكه، فقد كانت تعاليمه المتعلقة ببناء أركان الأخوة الإسلامية ممتدة الأطراف متنوعة الجوانب وإليك الأمثلة:

1-**المؤاخاة**: كان في مقدمة الأعمال التي قام بها المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته المباركة إلى المدينة عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، يقول الشيخ

محمد صادق عرجون رحمه الله: " وبهذه المؤاخاة الاجتماعية في الاتفاق والمناصرة والتعاون والتساعد والتعاضد، والحب في الله ولله الذي جعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم أساساً لهذه المؤاخاة بقوله لأصحابه من المهاجرين والأنصار : تآخوا أخوين أخوين تم تصحيح تركيب المجتمع المسلم" (محمد رسول الله 151/3)

ومن أروع الأمثلة على ثمار هذه المؤاخاة ما رواه البخاري في صحيحه وجاء فيه:
((آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال: بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم ؟فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو ثم جاء يوما وبه أثر صفرة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مهيم؟ قال : تزوجت...الحديث)

2-**أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه**: قال صلى الله عليه وآله وسلم : فيما رواه البخاري وغيره: ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**))

3-**تربية المسلمين على الموالاة والمعاداة في الله**: فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **((أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله.))** (رواه الطبراني وغيره وانظر السلسلة الصحيحة رقم 998)

4-**تربيتهم على التواصل والتزاور في الله**: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله تعالى: **((حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في، المتحابون في على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء.))** (رواه ابن حيان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وانظر: صحيح الجامع الصغير رقم 4197)

5-**إصلاح ذات البين**: لقد حث المولى عز وجل على إصلاح ذات البين وعلى الإصلاح بين المؤمنين إذا حصل بينهم ما يسبب الوحشة ويفرق بين جماعتهم، ويعكر صفاء الأخوة بينهم فقال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) (لأنفال: من الآية1)

وقال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) (الحجرات: من الآية9)

ويمكن تلخيص فضائل الأخوة الإيمانية فيما يلي:

1- الأخـــوة أوثق عرى الإيمان، وتحقيقها عبادة من أعظم العبادات، بل هي من كمال الإيمان،كما جاء في الحديث:(مـن أحـــب لله، وأبـغــض لله، وأعـطـــى لله، ومـنـع لله، فقد استكمل الإيمان)، (رواه أبو داود وغيره عن أبي أمامة بسند صحيح-انظر صحيح أبي داود)

2- وبها تُتَذوق حلاوته، قال: (من سره أن يجـد طعم الإيمان فليحب المرء، لا يحبه إلا لله) (رواه أحمد والبزار بإسناد رجاله ثقات) والموالاة على أساس الإيمان منهج أولياء الله ، قال تعالى: {لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [المجادلة: 22]

2- وبالأخوة تُستجلب محبة الله تعالى كما في الحديث القدسي المتقدم: (وجبت محبتي للمتحابين فيّ...الحديثّ).

3- والأخوة سبيل إلى ظل عرش الله تعالى ، فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: **(رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)** (متفق عليه).

4- والأخوة سبب لعلو المكانة في الآخرة، ودخول الجنة؛ فالمتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الأنبياء والشهداء (تقدم).

5- وهي عماد التعاون على البر والتقوى، وهو أمر لا يُتصور حصوله من الفرد؛ وذلك أن الأخوة قوة إيمانية تورث الشعور بالمحبة والثقة والارتباط، الذي بدوره يولد أصدق العواطف في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والإيثار والرحمة والعفو والتكافل، وفي اتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كل ما يضر الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

ضوابط الأخوة:

1-أن تكون خالصة لوجه الله تعالى ، مجردة من المقاصد المادية؛ ففي الحديث(**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل . قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)** (رواه مسلم)

وإلى هذا المعنى تشير النصوص العامة في اشتراط الإخلاص في كل عمل، وبخاصة الواردة في المؤاخاة والمحبة.

2- أن تقترن بالإيمان والتقوى: قال تعالى:((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) [الحجرات: 10]، وبيّن عز وجل تبدد العلاقات يوم القيامة إلا ما كان عماده التقوى، فقال: ((الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ)). [الزخرف: 67]

3- أن تلتزم منهج الإسلام وتعاليمه: وإليه يلمح قوله -صلى الله عليه وآله وسلم- في نعت الأخوة الموصلة إلى ظل الله ـ تعالى ـ: **(ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه).**

4-قيامها على النصح: ولمكانة هذا الشرط استحق أن تؤخذ عليه العهود، قال جرير ابن عبد الله البجلي: **(بايعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم)** (رواه البخاري)

وإذا كان ذلك لعامة المسلمين فهو لخاصة العلماء والدعاة إلى الله أوْلى بالمراعاة.

5- التعاون على البر والتقوى: وهو الهدف الأول من عقد الأخوة، واختلاله يؤذن بزوالها وتحولها.

6-التكافل والتباذل والتضحية والتعاون على ضرورات الحياة وحاجاتها، وهو أمر من الجلاء بحيث لا تخفي نصوصه الآمرة به، كحديث: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** (رواه البخاري وتقدم)، وحديث: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)** (رواه مسلم وتقدم).

دعائم الأخوة:

هناك مجموعة من الأسس والقواعد التي تحفظ الود وتغرس الأخوة يمكن تلخيصها هنا:

1- اختيار أحسن الألفاظ وأجملها حين الكلام سواء كان ذلك في محاضرة أو موعظة أو نقاش علمي أو نقد بناء أو نصيحة صادقة أو غير ذلك لأن في ذلك أماناً من نزغات الشيطان وتسويله.

2 -الإمساك عن الكلام إلا لمصلحة راجحة والتحرز الشديد من الكلمة وحصرها في نطاق ضيق ، يقول النووي رحمه الله : اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنة الإمساك عنه ، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام ، أو مكروه ، وذلك كثير في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء ، وكم كلمة أشعلت حروباً وأوقدت عداوة الدهر بكامله!!.. (المنهاج 102/1)

3 - وزن الكلام وضبطه والتأمل فيه وفي عواقبه قبل إخراجه وعدم التسرع فالكلمة إذا خرجت لم تعد .

4 - القول بالعدل والصدق وإن كان ذلك على أقرب قريب سواء كان ذلك مختصاً بالأفراد أو الجماعات أو المؤسسات الإسلامية ، والحذر كل الحذر من مسايرة الحماس والعواطف الجياشة وخاصة في المحافل العامة وعلى منابر النصح و الإرشاد.

5 - البعد عن تحريف الكلام وليه والمغالطة فيه وأن يكون كلامه لإخوانه واضحاً صريحاً غير محتمل للتأويلات وللشحناء والبغضاء والتدابر وانعدام الثقة.

6 - الالتزام بالقول وتصديقه بالفعل وعدم الفصل بينهما.

7-ترك الجدل االقيم والمراء الفارغ، وكل صنف من أصناف الكلام المؤدي إلى فساد القلوب وشحناء الصدور من لمز أو همز أو غمز مع اللين في القول لإخوانه المؤمنين وترك الغلظة والفحش .

8 -محاسبة النفس على كل كلمة خرجت والنظر في عاقبتها والخشية من الله سبحانه حين السؤال ووزنها بميزان الله أهي مما يرضي الله أم مما يسخطه .

9 -التحلي بلباس التقوى في كل حال من أحوال الكلام فإن الله هو المطلع وهو الذي سيحاسب ، وهو القائل سبحانه: ((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

المبحث الخامس: التعاون على البر والتقوى ونبذ التعاون على الإثم والعدوان.

من المبادئ الأساسية في الدعوة الإسلامية التعاون والتناصر بين المؤمنين ، وتطبيق مبدأ الأخوة تطبيقاً عملياً ، والابتعاد عن كل خلق يتنافي مع ذلك.

ومن المعلوم أنه قد أصبح التعاون بين الشعوب في هذا العصر ضرورة لا بد منها، فشعوب العالم لم تعد اليوم بمعزل عن بعضها البعض، بل إنها أصبحت بسبب تطور الاتصالات والمواصلات وتداخل المصالح بين أجزاء العالم ترتبط ماديا واجتماعيا ارتباطا قويا ومؤثرا.

ولئن كان التعاون والتضامن هو محور تفكير واهتمام بني البشر في هذا العصر فإنه بالنسبة للمسلمين واجب حتمي تمليه الشريعة السمحة وتنص عليه مبادئ الإسلام الخالدة حيث يقول الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: من الآية2)

والبر إذا اقترن بالتقوى يقصد به ما تعدى نفعه إلى المسلمين من الأعمال المشروعة. والتقوى تختص بما يقتصر نفعه من الأعمال الصالحة على خاصة الإنسان. وبهذا تحوي دلالات الآية مجالاً خصباً يتسع لكل عمل صالح يتحقق نفعه وخيره بالتعاون على مستوى الفرد والأمة. ومع ما في الآية من وضوح وإشراق وحض على التعاون؛ يجد الناظر إلى واقع العمل الإسلامي المعاصر أن التعاون بين جهاته العاملة كثيراً ما يكون محصوراً أو مقيداً أو مشوباً بما يكدره ويعيق الغاية المنشودة منه، إلا ما شاء الله.

حكم التعاون بين المسلمين:

أولاً: لا بد من بيان حكم التعاون بين المسلمين؛ والأصل فيه قوله تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ والْعُدْوَانِ)) وما في معناها من آيات وأحاديث، وهي نص في وجوب التعاون بين المسلمين على البر، ونص في تحريم التعاون على الإثم والعدوان.

وهنا نقول: إن كل من صدق عليه وصف الإسلام، وجب التعاون معه على كل ما يصدق عليه أنه بر وتقوى؛ عملاً بعموم الآية الكريمة، ولا شيء يخصص هذا العموم.

وهنا قد يقول قائل: ولكن التعاون مع المخالف مثل أهل البدع قد يتضمن الرضا ببدعتهم، أو قد يصور للناس أن المتعاون معهم هو منهم، وموافق لهم على بدعتهم؟!

والجواب: ينظر حينئذ في المصالح والمفاسد المترتبة على هذا التعاون؛ فأيهما غلبت كان لها الحكم؛ فإن كان تعاون الإنسان معهم ينطوي على مفسدة أكبر من

المصلحة المترتبة على ذلك التعاون، مُنِعَ التعاون، وإلا فلا، فمتى كان التعاون يتضمن نشر البدعة وإظهارها وحض الناس عليها،وذلك بالسكوت عنها، أصبح هذا التعاون من التعاون على الإثم والعدوان؛ فهو داخل في النهي، فيزول بذلك الإشكال.

ومما يساعد على التعاون على البر والتقوى :

1-إشاعة الأخوة ورابطتها بين جميع العاملين في حقل الدعوة الإسلامية السنية، والتبشير بأن المسلم أخو المسلم في كل زمان ومكان وتحت أي هيئة وجماعة ما دامت تحكّم الكتاب والسنة في مسيرتها، وأن هذه الرابطة من أصول الدين وقواعد الإسلام.

2-التلاقي بين العاملين للإسلام ومناقشة أولوياتهم ومناهجهم والانفتاح على الآخرين ومعرفة ما عندهم،ومحاولة تصحيح المناهج الخاطئة، وتطوير وسائل الدعوة.

3-التنسيق بين الجهود والبرامج وإشراك جميع المؤسسات والجمعيات السنية في المناشط الدعوية والعلمية.

4-إيجاد مجالس للشؤون الإسلامية في جميع الأقطار الأفريقية لتكون قنوات تواصل بين الدعاة إلى الله.

5-تكوين هيئات قطرية للتحكيم والمصالحة والفصل في النزاعات الواقعة بين الأفراد والجماعات .

6-ترسيخ أسس وقواعد الوحدة في نفوس العاملين في مجال الدعوة، وهي:

-وحدة العقيدة –وحدة الغاية -وحدة المصادر- وحدة القدوة.

7-تجنب الحزبية الممقوتة الضيقة المبنية على التعصب وضيق الأفق داخل الحركات الإسلامية، حيث يتصور البعض أن فضل الله محصور في حركته وجماعته التي هي الفاهمة للواقع الفاقهة للعصر، ويحسب أن على الآخرين أن يهرولوا للانضمام إليه؛ كأنه لا يوجد عمل إسلامي جاد خارج محيطه الضيق، وهذا الداء –داء الحزبية-من أشد الأدواء فتكا بوحدة الأمة وتفريقا لجماعة المسلمين، والغريب أن أصحاب هذا المنهج -في الوقت الذي يرفضون التنازل قيد أنملة للتعاون مع إخوانهم من أهل السنة- تراهم يمدون أيديهم لأهل البدع الواضحين ويدخلون معهم في صور تعاونية لا شك أن الخسارة فيها للدعوة والدعاة ، ولا ريب أنها من التعاون على الإثم والعدوان.

ثمار التعاون على البر والتقوى

1- زيادة الألفة، وتنمية المحبة، وتضييق دائرة الفرقة والعداوة.

2- عدم إشغال عامة الناس وضعاف الإيمان بتلقي التهم وسماعها وتداولها، وإشغالهم بدلاً عن ذلك بقضايا العلم النافع والعمل الصالح.

3- إشغال أصحاب الطاقات المتميزين بالكتابة والخطابة والحجة والبيان بما هو مفيد ونافع لخدمة الإسلام وأهله، ورصد الباطل وصده، ودحض الفساد والانحراف من البدع والمنكرات الشائعة في مجتمعاتنا.

4-إغلاق الباب على المنافقين والمرجفين الذين يفرحون بنشر العيوب وتشكيك الناس بالدعوة السلفية ومدى صلاحيتها للبقاء والقيادة .

5- حسم مادة الخلاف وإزالة بذرة الشقاق، لكي لا يثيرها من شاء من المرجفين، متى شاء وكيف شاء.

6-فضح أهل الفساد الذين يفرحون بتفرق أهل السنة وضعفهم، لينفذوا أغراضهم السيئة بيسر وسهولة، في ظل انشغال أهل الدعوة بعضهم ببعض، وضعف شوكتهم. وفي حال التعاون توجه الجهود لكشف مخططات هؤلاء ، وقطع السبيل عن تحقيق أهدافهم.

وأما التعاون على الإثم والعدوان فإنه محرم أيضا بنص الآية الكريمة: (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

وله في محيط الدعوة والدعاة صور متعددة منها:

1-الدخول مع أهل البدع والمنكرات في تحالفات وصداقات مع السكوت على الباطل وعدم تغيير المنكر .

2-بناء الأخوة في الدعوة على أسس حزبية ضيقة،أو قبلية عنصرية، أو أرضية إقليمية .

3-عدم التواصي بالحق والسكوت على الباطل لكون من يمارسه من المقربين أو المشاركين في الحزب أو الجماعة، مع العلم بأن الواجب الأخذ بيد الظالم وإن كان أقرب قريب وفي ذلك نصره كما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **((انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره))**

المبحث السادس: مراعاة المصالح والمفاسد في أعمال الدعوة.

قدمنا أن الشريعة الإسلامية ما شرعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ودرء المفاسد عنهم في العاجل والآجل، ولذا كانت رسالة الإسلام كلها رحمة على العباد، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء:107)

والرحمة تتضمن قطعا رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم، ولا يمكن أن تكون رحمة إذا أغفلت هذه المصالح.

ومعيار المصلحة والمفسدة هو الشرع، فما شهد له الشرع بالصلاح فهو المصلحة، وما شهد له بالفساد هو المفسدة.

ومصالح العباد التي عني بها الإسلام إيجاداً وحفظاً ثلاثة: المصالح الضرورية، والمصالح الحاجية، والمصالح التحسينية.
فالمصالح الضرورية هي التي لا قيام لحياة الناس بدونها، وإذا فاتت حل الفساد وعمت الفوضى واختل نظام الحياة، وبالاستقراء علم أنها خمس: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.
ومصالح الحاجيات هي التي يحتاجها الناس لتحقيق اليسر والسهولة والسعة في عيشهم وإذا فاتت لم يختل نظام الحياة ولكن يصيب الناس ضيق وحرج.
والتحسينات هي التي ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق، وإذا فاتت خرجت حياة الناس عن الاستقامة الكاملة التي تقضي بها الفطر السليمة والعادات الكريمة. وللحفاظ على هذه المصالح شرع الإسلام تشريعات كثيرة كفيلة بتحصيلها وحمايتها من أضدادها،ولا مجال هنا للتفصيل.(انظر أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان فقرة 75-84)
وباب المصالح والمفاسد باب واسع، والتفقه فيه أمر حتمي لكل من يتصدى للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا قام بالدعوة إلى الله من لا علم له بهذا الباب كان ما يفسده أكثر مما يصلح، وفيما يلي نشير إلى خلاصة ما ذكره أهل العلم مما يتصل بباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
وذلك أن الداعية قد تواجهه قضية فيها منكر يرتكب جهارا نهارا، لكن هذا المنكر تتعارض حوله المصالح والمفاسد.
في هذه الحالة يتحتم النظر في الأمر على سبيل المقارنة فلا يخلو الأمر من أربع حالات:
الأولى: أن تكون المصلحة المرجوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خالية من المفاسد، بحيث يزول المنكر أو يقل، في هذه الحالة يقدم على الأمر ولا لوم عليه بل هو مثاب على عمله.
الثانية:أن يستلزم الأمر بالمعروف ما دونه من المنكر، فيقدم أيضا على الأمر لرجحان المصلحة.
الثالثة: أن يستلزم الأمر بالمعروف منكرا أعظم منه، وفي هذه الحالة لا يجوز الأمر مراعاة لدرء المفسدة الراجحة.
الرابعة: أن يستلزم الأمر بالمعروف منكرا مماثلا له،ويستلزم النهي عن المنكر تفويت معروف مماثل، في هذه الحالة لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر نظرا لتساوي المصلحة مع المفسدة.
وهنا كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية أنقله بكامله لتعم به الفائدة،قال رحمه الله:
"وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد فإن الأمر والنهى وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فإن كان الذي

يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته.
لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالتها على الأحكام، وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما بل إما أن يفعلوهما جميعا أو يتركوهما جميعا لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر بل ينظر فإن كان المعروف أكثر أمر به وان استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وزوال فعل الحسنات، وإن كان المنكر أغلب نهي عنه وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ،ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرا بمنكر وسعيا في معصية الله ورسوله وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما، فتارة يصلح الأمر وتارة يصلح النهي وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المنكر والمعروف متلازمين وذلك في الأمور المعينة الواقعة، وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقا وينهى عن المنكر مطلقا وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها ويحمد محمودها ويذم مذمومها بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات معروف أكبر منه أو حصول منكر فوقه ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه، وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية وإذا تركها كان عاصيا، فترك الأمر الواجب معصية وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية وهذا باب واسع ولاحول ولا قوة إلا بالله .
ومن هذا الباب إقرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن أبى وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمدا يقتل أصحابه." (مجموع الفتاوى 28 / 130- 131) و(الاستقامة 2/ 216-217)
ولاحظ دقة فقه هذا الإمام وعدالته في الحكم على الأفراد والطوائف، حيث يثبت أن الفاعل الواحد، أو الطائفة الواحدة قد يجتمع فيهما معروف ومنكر، وصفة توجب المدح، وأخرى توجب الذم:(فيؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها ويحمد محمودها ويذم مذمومها .)
وزاد القضية بياناً تلميذه الحافظ ابن القيم فقال رحمه الله:
"الإنكار له شروط: المثال الأول: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ

إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم فقال لا ما أقاموا الصلاة وقال :من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه... فإنكار المنكر أربع درجات: **الأولى** أن يزول ويخلفه ضده **الثانية** أن يقل وإن لم يزل بجملته **الثالثة** أن يخلفه ما هو مثله **الرابعة** أن يخلفه ما هو شر منه فالدرجتان الأوليان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة، مثلا إذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله ... وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول:" مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبيء الذرية وأخذ الأموال فدعهم ". (إعلام الموقعين 3/15-16)

المبحث السابع: الانضباط في مسائل الاجتهاد بالضوابط الشرعية.

إن من الآداب التي يجب على الداعية التزامها أدب الخلاف والحوار مع المخالفين، فلا يظلمهم ولا يلزمهم باجتهاده في المسائل الخلافية.

ولما كان الكلام حول هذا الباب مما يطول فسأوجز القول في نقاط:

- متى تكون المسألة اجتهادية؟:

الجواب: أن المسألة تكون اجتهادية إذا اعتراها أمر من الأمور التالية:

1- **إذا لم تظهر صحة الدليل؛** وهذا يكون في الأحاديث التي اختلف العلماء المعتبرون في تصحيحها، وتضعيفها، أو في الإجماع المختلف فيه.

فالمسائل التي اختلف العلماء فيها، وكان سبب اختلافهم فيها مبنياً على اختلافهم في صحة الحديث، أو ضعفه، أو ثبوت الإجماع أو عدمه هي مسائل اجتهادية ولا شك.

2- **إذا لم تظهر دلالة الدليل**، وهذا يكون في الأدلة التي دلالتها على المراد من قبيل المجمل، أو الظاهر، الذي يحتمل معنيين، لكن أحدهما أظهر من الآخر، أما إذا كانت أدلتها من قبيل النص، الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً، فليس للاختلاف فيه مساغ.

4-**إذا وُجد للدليل معارض صالح للمعارضة**، واختلفوا في كيفية الجمع بين الدليلين، أو في ترجيح أحدهما على الآخر، حسب القواعد التي قررها العلماء في هذا الباب.

5- **الاختلاف في النازلة**، لو اتفقوا في كل ما تقدم ثم اختلفوا في القضية النازلة بأي الصور تلحق؟ كاختلافهم في تحقيق المناط- أي تحقيق وجود العلة في الفرع المتنازع على حكمه- كانت تلك المسألة المختلف فيها من المسائل الاجتهادية، وهذا السبب من أهم أسباب الخلاف بين المسلمين في العصر الحاضر؛ فكثير من مسائل السياسة الشرعية من طرق تغيير المنكر، وطرائق الدعوة هي من هذا القبيل.

- <u>الضوابط الشرعية التي يتحتم التزامها في المسائل الخلافية:</u>

1- الرسوخ في العلم، فأنصاف المتعلمين يفسدون –إذا اختلفوا- أكثر مما يصلحون، وغير المؤهل للاجتهاد لا يجوز له أن يضيع وقته في مناقشة المسائل الاجتهادية.

2- تحرير محل النزاع وتخريج الفروع على أصولها والابتعاد عن الإجمال والإبهام وإظهار المخالف في صورة من يتعمد المخالفة بلا برهان.

3- العدل في الحكم على المخالف ولو جار عليك وظلمك، قال تعالى لنبيه: (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ <u>وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ</u>) (الشورى: من الآية15) هذا مع أهل الملل، فما بالك مع الدعاة المجتهدين في مسائل الاجتهاد.

4-حسن الظن بالداعية المسلم وحمل كلامه على مراده، وعدم إلزامه بقول لم يلتزمه قال ابن تيمية رحمه الله–في الجواب عن سؤال دار حول لازم المذهب-:"

وأما قول السائل هل لازم المذهب مذهب أم ليس بمذهب ؟ فالصواب أن مذهب الإنسان ليس بمذهب له إذا لم يلتزمه فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه كانت إضافته إليه كذبا عليه." (مجموع الفتاوى 217/20)

5- الحرص على أن يكون القصد من الحوار الوصول إلى الحق ونصرة الدليل وإن جرى على لسان الخصم.

6- المحافظة على بقاء القلوب صافية مع الولاء والمناصرة بقدر موافقته للسنة.

7-الحذر من رد الحق إذا جرى على لسان المخالف، ورفض الشهادة له والاعتراف بما أحسن فيه المخالف وأجاد ووافق فيه الحق.

8-عدم محاكمة الشخص إلى غير أصوله التي يتبناها، فقد يقول في مسألة ما قولا باطلا يوافق قول الخوارج أو المرجئة أو الرافضة أو غلاة الصوفية ومع ذلك

ليس من العدل أن نقول إنه صوفي أو خارجي ، إذا كان لا يتبنى أصولهم ولا يرضى بالانتماء إليهم، بل نقول أخطأ في هذه المسألة ووافق فيها الطائفة الفلانية، ما لم تكثر الموافقة وتغلب أو يسلّم بأصول أولئك فإنه في هذه الحال ينسب إليهم لكثرة موافقته وقلة مخالفته لهم،ولتبنِّيه أصولهم، ويوضحه:

9-التفريق بين المسائل والمناهج: أكثر الخلافات الواردة في هذا الباب بين الدعاة راجعة إلى عدم التفريق بين الخلاف في المسائل، وبين الاختلاف في المناهج، فترى شخصا قال قولاً قد يكون مخطئاً فيه فترى من يؤصل له منهجاً ويحاكمه من خلال ذلك المنهج ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحه الله :" فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من الخطأ في الدين ما لا يكفر مخالفه بل ولا يفسق بل ولا يأثم مثل الخطأ في الفروع العملية " (مجموع الفتاوى: 12 / 494)

وروى الذهبي عن يونس الصدفي رحمه الله تعالى قال: "ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة (سير أعلام النبلاء 10/16-17)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :" ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة. (مجموع الفتاوى 173/24)

وقال أيضا زاده الله فيضا:" (فالمتأول المجتهد كأهل العلم والدين الذين اجتهدوا واعتقد بعضهم حل أمور واعتقد الآخر تحريمها، كما استحل بعضهم بعض أنواع الأشربة، وبعضهم بعض المعاملات الربوية، وبعضهم بعض عقود التحليل والمتعة، وأمثال ذلك، فقد جرى ذلك وأمثاله من خيار السلف، فهؤلاء غايتهم أنهم مخطئون، وقد قال الله تعالى : ((رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)) [البقرة: 286]

وقد ثبت في الصحيح أن الله استجاب هذا الدعاء) (مجموع الفتاوى 75/35).

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: " إياك أن توالي أخاك لأنه وافقك في كذا، وتعادي الآخر لأنه خالفك في رأي أو مسألة، فليس هذا من الإنصاف، فالصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل ومع ذلك لم يؤثر ذلك في الصفاء بينهم والموالاة والمحبة رضي الله عنهم وأرضاهم، فالمؤمن يعمل بشرع الله ويدين بالحق، ويقدمه على كل أحد بالدليل، ولكن لا يحمله ذلك على ظلم أخيه وعدم إنصافه إذا خالفه في الرأي في مسائل الاجتهاد التي قد يخفي دليلها." (من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الدعوة ص87)

10-الأمانة في النقل، وعدم نسبة الأقوال لغير أصحابها، والحذر الحذر من عزل النص عن مناسبته، ومن بتر الكلام من سياق قبله أو بعده ذي تعلق به.

11-عدم إقرار الباطل من أي كان: بعض الدعاة يقول: لا يجوز أن نفضح أنفسنا عند الناس ولا ينتقد بعضنا بعضاً، وهذا خطأ فليس من مصلحة الدعوة ولا الدعاة السكوت على الباطل بل يقال للمخطئ أخطأت وللمصيب أصبت، نعم يحتاج ذلك إلى أسلوب حكيم، أما إهماله فكلا.

المبحث الثامن: التعاون بين الدعاة والرعاة.

هذه قضية أخرى كثر فيها الجدل، وانحرف بسببها فئام من الناس عن جادة السنة. والحق دائما وسط بين الإفراط والتفريط، فمن واجب العلماء والدعاة وأهل الغيرة على الدين أن يصلوا جسورا من التعاون مع الأمراء والولاة من المسلمين، ولاينقطعوا عنهم، وينبغي أن يكون اتصالهم بهم بقدر ما يفيدونهم في فهم الإسلام، ويستفيدون منهم في نصرة الإسلام، ولا بد لهذه المسألة من ضوابط وقواعد تحكمها، ومنها:

1-أن تكون صلتهم خالصة لله لا يشوبها شائبة من الهوى والمنفعة في مال أو جاه.

2-أنه مادام ولي الأمر يسوس الأمة بالشريعة فطاعته واجبة، ولا يجوز الخروج عليه ما لم يظهر منه كفر بواح عليه من الله برهان ، حتى ولو ارتكب الكبائر دون الشرك، وظلم الناس بأخذ حقوقهم . (انظر: مجموع الفتاوى179/28)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا أصول السلف في هذا الباب: "

ولكن علي أن أطيع الله ورسوله وأطيع أولي الأمر إذا أمروني بطاعة الله، فإذا أمروني بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق هكذا دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه أئمة الأمة قال الله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)) وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال:" **لا طاعة لمخلوق في معصية الله إنما الطاعة في المعروف"** وأن أصبر على جور الأئمة وأن لا أخرج عليهم في فتنة لما في الصحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله :**"من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات فميتته جاهلية "** ومأمور أيضا مع ذلك أن أقول أو أقوم بالحق حيث ما كنت لا أخاف في الله لومة لائم كما أخرجا في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: **بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في يسرنا وعسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول أو نقوم بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**). فبايعهم على هذه الأصول الثلاثة الجامعة وهي: الطاعة في طاعة الله وإن كان الآمر ظالما، وترك منازعة الأمر أهله، والقيام بالحق بلا مخافة من الخلق ." (مجموع الفتاوى: 3 / 249 – 250)

3-أنه لا إنكار على الولاة في مسائل الاجتهاد، لأن الأمور الاجتهادية مما لا يدخل الإنكار فيها لتفاوت الاجتهادات، واختلاف العقول في تقدير المصالح، فقد يجتهد الإمام في سلوك أحد الطريقين بناء على ما يراه مصلحة، وبناء على ما يراه من ضروريات وحاجيات لا تنقضي إلا بهذا المسلك، وهذه المصالح والضرورات والحاجيات قد لا يعلمها غيره أو لا يستطيع تقدير حجمها تقديرا سليما، وأكثر المعارضات الواقعة على الحكام داخلة في هذا الباب.

4-الولاة ليسوا معصومين: بل هم بشر يصيبون ويخطئون، ويذنبون ويستغفرون، ويخطئ من يفترض فيهم غير ذلك، أو ينظر إليهم كما ينظر إلى الأنبياء والرسل، أو حتى الخلفاء الراشدين، ووجود بعض الأخطاء من الولاة لا يسوغ للدعاة والعلماء وعموم الأمة أن يخلعوا الطاعة، أو ينازعوهم الأمر، أو يعينوا من يفعل ذلك، أو يتركوا مناصحتهم. (انظر: منهج ابن تيمية في الدعوة ص481)

5-التغير الحاصل في الأمة ليس من طرف واحد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: من الآية11)

فالنقص والتغيير والضعف الواقع في الأمة في أمر دينها ودنياها ليس من جانب الحكام والولاة فقط، بل هو من الرعاة والرعية، فعلى الدعاة أن يتعاونوا مع هؤلاء للخروج من هذه الورطة التي تقع مسؤوليتها على الجميع، بدل أن يصبوا جام غضبهم على الرعاة وبدل أن يصرفوا جهودهم في البحث عن طرق للخلاص منهم، وينسوا التفكير في ذواتهم وبقية الرعية؛ فإن هؤلاء إذا صلحوا فسوف يجد الحاكم نفسه مضطرا لمراعاة مصالحهم نظرا لحاجته إليهم، فلا بد إذن من التنبه إلى مكمن الداء وهو النفس البشرية وحب الدنيا ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:165)

الفصل الثاني: الأسس العملية لوسائل الدعوة.

وتحته خمسة مباحث

المبحث الأول : التقيد بالضوابط الشرعية في وسائل الدعوة.

يحتاج الداعية لتنفيذ مهمته إلى وسائل وآليات يوصل بها دعوته إلى المدعوين، وإلى أساليب يسلكها لاستخدام تلك الوسائل على أحسن السبل.

ويجب على الداعية وهو يؤدي مهمته أن يتقيد بالوسائل والأساليب الشرعية، ولا يجوز له بحال أن يخرج عن الضوابط الشرعية في باب الوسائل.

والأصل في ذلك أن يعلم "أن السبيل إلى إصلاح الناس وإقامتهم على الطريق السوي هو السبيل الذي درج عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، ودرج عليه صحابته الكرام، ثم أتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا، وهو العناية بالقرآن العظيم، والعناية بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعوة الناس إليهما والتفقه فيهما، ونشرهما بين الناس عن علم وبصيرة وإيضاح ما دل عليه هذان الأصلان من الأحكام." (من أقوال الشيخ ابن باز ص29)

ومن الضوابط الشرعية التي يجب على الداعية أن يوليها ما تستحق من عناية:

<u>أولا</u>-الصبر وعدم استعجال النتائج:

قال تعالى : (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (يونس:109)

وقال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل:127)

وقال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (لأنفال:46)

وإغفال هذا الضابط يؤدي إلى العجلة وهو باب واسع للخروج عن منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة إلى الله، فقد أخرج البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: " **شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون.**"

والاستعجال هو: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو سير بغير بصيرة، وهجوم على الأمور بغير معرفة، ولطالما خسرت الدعوة الشيء الكثير، وتقهقرت سنين عددا بسبب أناس استعجلوا الثمار، وسلكوا طرقا غير شرعية فكان ما كان.

والعجلة مذمومة في عامة القرآن، قال تعالى: (وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (طـه: من الآية114)

وقال تعالى: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ) (الانبياء:37)

وقال تعالى: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً)

(الاسراء:11)

ومن أسباب العجلة:

1. غياب منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لدى كثير من دعاة هذا العصر.
2. الشهوة الخفية والدافع الذاتي في النفس الأمارة إلى حب الزعامة والرئاسة والسلطة وتولي مراكز القيادة، وقطف ثمار الدعوة، والخروج من حيز التهميش إلى حيز الظهور والتمكين! وهذا من جهل هؤلاء ؛إذ لو فقهوا لعلموا أن الإمامة في الدين إنما تنال بالصبر واليقين، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة:24) وأن أقرب سبيل للنجاة من كيد الأعداء هو الصبر والتقوى، قال تعالى: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (آل عمران: من الآية120)
كثرة التحديات من أعداء الدعوة وكثرة الأذى مما يجر المستعجل إلى خطوات ليس هذا أوانها لاشرعا ولا عقلا، فيترتب عليه ما يؤخر ولا يقدم.
3. عدم إدراك العمق الحقيقي للفساد في النفس البشرية، فيلغي المستعجل من حسابه حجم السنين التي تم فيها الفساد، فيريد أن يدرج الزمن جاهلا أن من السنن الإلهية انتشار الحق بتدرج.
4. قيام الدعوة على الارتجالية أو على أسس غير صحيحة.
5. .عدم معرفة ضوابط المصلحة والمفسدة في باب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
6. العاطفة الهوجاء التي لا زمام لها ولا خطام.

7. ومن نتائج الاستعجال:

أ.القنوط والفتور في الدعوة والانتكاس –عياذا بالله-.

ب.الانسياق وراء الدعوات الهشة والتجمعات الجماهيرية دون النظر في العواقب ومآلات الأمور.

ج.اللجوء إلى العنف والقوة والفظاظة وسوء الخلق وفساد الأسلوب.

د.الغرور والإعجاب بالنفس واحتقار السالكين مسلك القرآن والسنة النبوية في الدعوة وقد يترتب على ذلك وصف أسلوب التربية والتعليم بالبطء وعدم مواءمة العصر.

ثانيا: من الوسائل التي تحتاج إلى ضبطها بضوابط الشريعة وسيلة الهجر، وهي وسيلة دعوية نافعة مثمرة إذا استخدمت على الوجه الصحيح.

وأنقل هنا كلاما للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز لأهميته، قال رحمه الله :" هذا فيه تفصيل : يشرع هجره ومقاطعته إذا أعلن المنكر وأصر ولم ينفع فيه النصح، شرع لقريبه أو جاره هجره، وعدم إجابة دعوته، وعدم السلام عليه، حتى يتوب لله من هذا المنكر.

هكذا فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة لما تخلف كعب بن مالك وصاحباه عن غزوة تبوك بغير عذر شرعي، أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يكلموا ويهجروا، فهجروا جميعا حتى تابوا وتاب الله عليهم...أما إذا كان هجر الشخص قد يترتب عليه ما هو أنكر من فعله، لأنه ذو شأن في الدولة، أو ذو شأن في قبيلته فيترك هجره ويعامل بالتي هي أحسن ويرفق به حتى لا يترتب على هجره ما هو شر من منكره وما هو أقبح من عمله، والدليل على ذلك: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعامل رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بمثل ما عامل به الثلاثة وهم كعب وصاحباه، بل تلطف به ولم يهجره، لأنه رئيس قومه، ويخشى من سجنه وهجره فتنة للجماعة في المدينة، فلهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفق به حتى مات على نفاقه، نسأل الله العافية." (من أقوال الشيخ ابن باز في الدعوة ص80-81)

3-إدراك السنن الإلهية في صراع الحق مع الباطل، وأن الحق يحتاج إلى نفوس تؤمن به وتعتقده وتدعو إليه، وتصبر على الأذى في ذلك، ونصر الله لم ينزل على نبيه إلا بعد سنوات من الإعداد للجيل المؤمن الذي تربى على معاني الإيمان بالله والرغبة في الدار الآخرة.

4-إدراك أن التغيير في واقع الحياة مشروط بالتغيير في النفوس البشرية، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد: من الآية11)

حتى يغيروا ما بأنفسهم من المعاصي إلى الطاعات، ومن التعلق بغير الله والاعتماد عليه إلى صدق اللجوء إلى الله والتوكل عليه.

5- إخضاع جميع الوسائل المطروحة للدراسة الشرعية والخروج بنتيجة علمية تقضي بشرعيتها أو عدمها، وتكون هذه الدراسة من علماء ذوي تخصص في

الشريعة والدعوة، ذلك لأن أكثر هذه الوسائل نوازل في حاجة إلى مجتهد يقوم بدراستها والحكم عليها.
فقد تكون الوسيلة مباحة من حيث الأصل لكنها تحرم بسبب ما تؤدي إليه، فلا بد من إعطاء الوسائل صورة ما توصل إليه، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(**من جهز غازيا فقد غزا)** (رواه مسلم) فصوَّر الدلالة على الفعل في صورة الفعل نفسه.
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه.)** (رواه البخاري)
وهذا أصل في سد الذرائع، ويؤخذ منه أن الوسيلة إذا آلت إلى محرم تحرم بحرمة ما أدت إليه كما قال تعالى : (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام: من الآية108)

المبحث الثاني : ارتباط الوسائل بالمقاصد.

من الموضوعات الهامة في سبيل الوسائل دراستها من ناحية الثمار المتوقعة من اتخاذها. وإغفال هذا الجانب يؤدي إلى تحول كثير من الوسائل إلى غايات، ومن صور انفكاك الوسائل عن المقاصد:

1-أن يظل خطيب الجمعة يقرأ على جماهير مسجده خطبة قيلت منذ قرون وتتناول قضايا لا تمس مشكلاتهم اليومية التي تحتاج إلى علاج.

2-وكذلك ما نراه في بعض المساجد في البلاد الأفريقية غير العربية، حيث يخطب الإمام باللغة العربية، وجماهير مسجده لا يعرفون عن هذه اللغة شيئا، فكأن الغاية من الخطبة قراءة شيء بحضور الناس، وكأن الخطبة لم تعد لدى هؤلاء وسيلة من وسائل الدعوة .

3-ومن ذلك أنك ترى في بعض المساجد صورة غريبة وهي : أن الإمام بعد الفراغ من الصلاة يمسك كتابا ككتاب رياض الصالحين-مثلا-و يقرأ منه بعض الأحاديث، ومع بداية قراءة الإمام يبدأ عدد المصلين يتناقص تدريجيا، حتى إذا بلغ نهاية القراءة فإذا بالمصلين قد انصرفوا عن بكرة أبيهم !!

وإذا تأملت بان لك السبب ،حيث إنه يقرأ بطريقة سردية مملة، يتجاوز كثيرا من الألفاظ غير المفهومة دون أدنى شرح أو تعليق، وبصوت بعيد عن الأسلوب الخطابي الذي يشعر المستمع أنه هو المعني بهذا الكلام، ومع هذا الضعف الواضح فإن الإمام لا يكلف ذهنه عناء التفكير في وسائل جديدة وطرق أخرى تناسب من يتعامل معه من الناس، ويدرك أن القراءة من ذلك الكتاب ليس هدفا بذاته لكنها وسيلة يجب تغييرها أو التجديد في طريقة العرض إذا تبين أن هذه الوسيلة بهذا الأسلوب لا توصل إلى المقصود.

إن المطالبة بالتجديد أو التنويع في وسائل الدعوة لا يعني أبداً أن ننبذ كل ما هو قديم أو مجرب؛ ولكنه يعني أن نطور هذه الوسائل ونحسنها، بل نبحث عن وسائل جديدة حتى نستطيع أن نصل بهذه الدعوة إلى عقول الناس الذين تعبدنا الله بدعوتهم .

المبحث الثالث: مراعاة أحوال الدعاة والمدعوين في الوسائل.

ينبغي أن تكون الوسيلة المستخدمة مناسبة لحال الداعي بحيث يكون قادرا على استخدامها بصورة فعالة، وقادرا على الإبداع فيها، وبحيث تكون هذه الوسيلة مناسبة لحال المدعوين مؤثرة فيهم، وإلا ضاعت جهود الدعاة، وضُيِّعت أوقات المدعوين.

وبالنسبة لحال الداعي يراعى ما يأتي:

1- تأهيله علمياً حتى يكون عارفا بالوسائل المناسبة للمدعوين،قادرا على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة،والمجادلة بالتي هي أحسن : (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: من الآية125)

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:108)

2-تدريبه عمليا حتى يكون قادرا على استعمال الوسائل، سواء كان في مجال التربية والتعليم، أم في مجال الكتابة، والخطابة، وهذه سنة الله مع أنبيائه: فقد علّم موسى كيفية استخدام العصا قبل مواجهة الطاغية فرعون، ولو لم يعلمه ما تحول إليه العصا وأخره إلى ساحة المواجهة لكانت الكارثة، لأن موسى سوف يولي هاربا إذا رأى الثعبان.

من هنا جاءت أهمية التدريب على استخدام الوسائل قبل خوض ميدان الدعوة إلى الله.

قال تعالى:(وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) (القصص:31)

هذا كان قبل المواجهة، أما عند المواجهة وبعد تلقي التدريب العملي فقد ثبت عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) (الشعراء:45)

3-تربيته على القناعة، وعلى الكسب الحلال حتى لا يتخذ الدعوة نفسها وسيلة ومطية للوصول إلى أغراض دنيوية، فلا يطالب المدعوين بمقابل على دعوته، هكذا كان أنبياء الله : (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام:90)

(وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّه) (هود: من الآية29)

وأما بالنسبة لحال المدعوين فلا بد من مراعاتها وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن مراتب المدعوين ثلاث، ولكل فئة ما يناسبها بناء على قوله تعالى: ((ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) أذكر كلامه ثم أشير إلى ما لا بد منه، قال رحمه الله : "ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام ، بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالباً للحق ، محباً له ، مؤثراً له على غيره إذا عرفه ، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال ، وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق ، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب ، وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هى أحسن ،

فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجِلاد إن امكن" (الصواعق المرسلة 1276/4). ويضاف إلى ذلك :

1-تشخيص الداء في المدعوين ومعرفة الدواء: وهذا هو أساس الدعوة والمنطلق الذي يجب أن ينطلق منه الداعية؛ فإن الطبيب الحاذق الحكيم يعرف الداء أولا ثم يعين ويصف العلاج ثانيا على حسب علمه بالداء، فلا يصلح أبدا لمريض بالقلب أن يوصف له دواء الصداع، كمن يأتي إلى شخص لا يصلي ولا يعرف شيئا عن العقيدة الإسلامية فيخاطبه بفرائض الوضوء، ومستحبات التيمم !

2-تحري أوقات الفراغ والنشاط والحاجة عند المدعوين، حتى لا يملوا.

3-عدم الإكثار على المدعوين مخافة المل أيضا، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة كراهة السآمة كما جاء في حديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم :(**عن شقيق أبي وائل قال:" كان عبد الله يذكرنا كل يوم خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم فقال ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا."**

4-قد يكون المدعو ضعيف الإيمان فيؤلف ، ولو بالمال، وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسلك هذا المسلك فيوثر حديثي العهد بالإسلام بنصيب من المال إذا ظهر له أن إيمانهم لم يرسخ بعد، وكان يقول: **(إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه.)** (متفق عليه)

5-التأليف بالعفو في مواضع الانتقام: **(عن أنس أن أعرابيا بال في المسجد فقام إليه بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعوه ولا تزرموه قال فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبه عليه.)** (متفق عليه)

وكذلك قصته صلى الله عليه وآله وسلم مع الأعرابي الذي حاول قتله ثم تمكن منه :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه قال جابر فنمنا نومة ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال لي من يمنعك مني قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .) (متفق عليه)

6-ترك الأمر الذي ليس بواجب مراعاة لحال المدعوين: فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها : **(يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به أساس إبراهيم.)** (رواه البخاري.)

المبحث الرابع: مناسبة الوسائل وتنوعها تبعا لتنوع الأهداف والأعمال.

إن وسائل الدعوة إلى الله كثيرة ، والداعية الموفق يختار من الوسائل والأساليب ما يقره الشرع ويعلم أنه مؤثر وناجح .

وبعض الناس قد لا يستجيب للدعوة إلا أن يرى شيئاً عظيماً يجعله يقف مبهوراً معجباً ، شيئاً يشده إلى الإسلام شداً ، ويأسره أسراً ويجعله يعيد حساباته ويفكر بعمق ويقارن بين الماضي والحاضر ثم يتخذ في نفسه القرار.

هكذا وقفت ملكة سبأ التي كانت تعبد الشمس هي وقومها عندما دعاها سليمان عليه السلام إلى الإسلام أبت أن تنقاد مع اعترافها بضعفها أمام قوة سليمان وجنوده ، ولكن عندما دخلت الصرح وحسبته لجة ((قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)) [النمل:44]

لقد عُرضت عليها مظاهر القوة الخارقة لتؤثر في قلبها وتقودها إلى الإيمان .

وحال هذه المرأة تشبه أحوال كثير من الناس اليوم حيث خدعوا ببريق العلم والتكنولوجيا فلا يستسلمون لدعوة لا تخاطبهم بلسانهم ولا ترقى إلى مستواهم.

ثم إنه لما كانت أهداف الدعوة متعددة، ومقاصدها متنوعة كان لا بد من اتخاذ الوسيلة المناسبة لكل هدف ومقصد.

وأعتقد بأن الارتقاء بمستوى الطرح والمعالجة في غاية الأهمية، فما يصلح في المدرسة قد لا يصلح في الجامعة، وما يصلح في المسجد قد لا يصلح في وسائل الإعلام، وما يصلح في هذا البلد قد لا يصلح في البلد الآخر.. وهكذا.

فقد تكون الدعوة إلى إحياء سنة أميتت في مكان معين نظرا لجهل أهل المنطقة بها فيتخذ الداعية الوسيلة المناسبة لإحيائها، وهي وسيلة التعليم.

وقد تكون إلى إزالة منكر شاعت في القطر لا يمكن إزالتها إلا بقوة وسلطان، فيتخذ الداعية الوسيلة المناسبة لذلك، وهي إبلاغ من يعنيهم الأمر، وبه تنتهي مسؤوليته.

وربما كان الهدف من الدعوة إنقاذ مخدوع وقع في مكيدة التنصير بإغراءات الغذاء والدواء والكساء، فيتخذ له من العلاج ما يناسب هذا الداء : من تعليمه خطورة ما صار إليه، وأن الدنيا وما فيها تهون أمام عقيدة المسلم ، ثم يتلو ذلك مده بما يحتاج إليه من بدائل الخير والإحسان.

المبحث الخامس: استخدام العلوم العصرية لتطوير أعمال الدعوة وبرامجها.

إننا نعيش في عصر يمكن أن يسمى عصر العلوم بحق، فقد شاعت وانتشرت علوم كثيرة لم تكن معروفة من ذي قبل، وتطورت تكنولوجيا العلوم بشكل يبهر العقول، لكن كثيرا من هذه العلوم لا تمثل خيرا محضا بل كثيرا ما يكون سلاحا ذا حدين، ونظرا لأن غالب العلماء الذين تلصق أسماؤهم باختراع هذه العلوم من غير المسلمين فقد استخدمت على نحو مخالف للتعاليم الإسلامية، مما أدى إلى عزوف كثير ممن ينتسبون إلى الدعوة عن محاولة الاستفادة من تلك العلوم، واعتبارها آلة إفساد لا غير، وهي في الحقيقة علوم يمكن تطويعها لنشر الدعوة الإسلامية بصورة ذات جدوى، وأشير فيما يلي إلى ثلاثة فنون من هذه العلوم النافعة دعويا، وهي علم الإدارة، والتخطيط، والإعلام:

علم الإدارة:

أصبحت الحاجة إلى الاستعانة بالجوانب الإدارية في كثير من شؤون الحياة أمراً أساسياً ومهماً ؛لأن الأمور لم تعد من السهولة بحيث يستطيع الفرد أن يعالجها بالطرق التقليدية المعتادة.

وهنا تظهر الحاجة إلى الجانب الإداري الذي يطرح طرق الحل بشكل منظم ومبرمج ومتكامل، ويلفت الانتباه إلى مسلّمات من نتاج تجارب الآخرين تختصر الوقت وتوفر الجهد، وتعطي نتائج مثمرة وتساعد على تحقيق الأهداف بشكل أفضل، فلو ضربنا مثلا باتخاذ القرار الصائب-وهو مشكلة أكثر إدارات العاملين في ميدان الدعوة، سواء على مستوى الجمعيات والحركات الإسلامية، أم على مستوى المؤسسات التعليمية والخيرية،-نجد أن علماء الإدارة ذكروا خطوات لمراحل الوصول إلى القرار الأمثل يستطيع جميع العاملين تحت المنظمات بأنواعها وأشكالها أن يطبقوها فتثمر، وهي:

1- تشخيص الأمر محل القرار.
2- تحليله ودراسة الجوانب المتعلقة به.
3- طرح البدائل المتاحة لاتخاذ القرار.
4- تقويم البدائل بذكر سلبياتها وإيجابياتها ووزن كل منها على حدة.
5- اتخاذ القرار الملائم لهذا الأمر.
6-متابعة تنفيذ القرار لمعرفة مدى النجاح الذي حققه في الوصول إلى الهدف أو حل المشكلة المعنية .

وقد أوردنا هذا المثال في سياق الحديث عن الحاجة إلى الجانب الإداري في الحياة.

فلو عدنا إلى مجال الدعوة لوجدنا أن اتخاذ القرار بعفوية وارتجالية شائع ويكاد يكون هو القاعدة وما عداه هو الشاذ ، مع عظم شأن مثل هذه القرارات في حياة ومسيرة الدعوة ؛ مما قد يؤخر مسيرة الدعوة الإسلامية مراحل ومراحل ، مع أنه لو أُستُعين بالعلوم الإدارية لكان أجدر وأولى؛ فإن مما يعيب قرارات أكثر الدعاة أنها لا تنظر إلى الأمور بشمولية وسعة أفق ،ولا تبحث عن البدائل المطروحة قبل اتخاذ القرار ، ولا تنظر إلى الآثار التي يخلّفها تنفيذ القرار في الواقع.

التخطيط:

أما التخطيط –وقد أصبح فنا مستقلا بعد أن كان جزء من الإدارة- فلا يقل أهمية عن الإدارة نفسها، وحاجة العمل الإسلامي إليه غير قابل للنقاش، وحتى تتجلى لنا أهمية التخطيط-ومعناه التنظيم ورسم الأهداف وخطوات العمل في المستقبل، وتقسيم مراحل تنفيذه إلى أقسام- فلنسأل أنفسنا هذه الأسئلة:

ألم تعان الدعوة من عدم وضوح الهدف؟
ألم تعان الدعوة من الارتجالية والفوضى؟
ألم تعان الدعوة من الحزبية والانفرادية في اتخاذ القرار؟

ألم تعان الدعوة من فقدان القيادة القادرة على الاستفادة من المصادر المتاحة ؟
ألم تعان من ضعف قدرة القيادات على مراقبة نفسها ومحاسبتها عندما تحيد عن الطريق؟
ألم تعان من الترف الفكري وكثرة النقاش والجدل والمراء المكرر في مسائل هي ذاتها؟
ألم تعان من كثرة المجاملة والتقليد الأعمى والتعصب للأحزاب والجماعات.
ألم تعان من حب الرئاسة والزعامة والتنافس عليها؟
لاشك أن العمل المنظم المخطط له بدقة إذا وجد مع العامل المخلص استطعنا التخلص من جزء كبير من هذه المعاناة التي تعود إلى العاملين أنفسهم، ونلخص هنا مزايا التخطيط :
1 - انتظام العمل وانسيابه بسهولة ويسر، حيث يتم تحديد الأعمال والمراحل التي تمر بها ، والأشخاص الذين يؤدونها.
2 - تحديد الاختصاصات والصلاحيات والمسؤوليات ، بحيث يعرف كل فرد واجباته الأساسية والفرعية والإضافية، وعلاقة وظيفته بالوظائف الأخرى ، ويبين لكل قسم وإدارة حدود صلاحياتها وعلاقاتها بالأقسام والإدارات الأخرى . فلا يحدث تنازع في الاختصاصات أو تضارب في السلطات.
3 - الاستغلال الكفء للإمكانات المتاحة (خبرات وطاقات العاملين) والحصول على أقصى طاقة إنتاجية منها، وتحقيق التنسيق والتكامل بين الموارد البشرية والخبرات والمهارات المتاحة، وبين الإدارات والأقسام ، فيزيد احتمال الوصول إلى الأهداف المحددة بقدر كبير من الفعالية.
4-وبناء على ذلك يتحقق التعاون والانسجام بين الأفراد والجماعات فتسير العلاقات الوظيفية، والاجتماعية بأقل قدر ممكن من التنافر والتضاد.

الإعلام:

أما الإعلام بوسائله المختلفة فقد دخل كل البيوت، ووصل العالم بعضه ببعض، ولا سبيل للهرب منه أو إقصائه عن الأسرة والأولاد، وأكثر وسائل الإعلام مساسا بحياة الناس اليوم التلفاز بقنواته الفضائية، والشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) بمواقعها المذهلة.
لا ريب أن هذه الوسائل إذا سخرت في سبيل الدعوة إلى الله فإن نفعها عظيم، يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : "أنجح الطرق في هذا العصر وأنفعها استعمال وسائل الإعلام لأنها ناجحة، وهي سلاح ذو حدين، فإذا استعملت هذه الوسائل في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من طريق الإذاعة والصحافة والتلفاز فهذا شيء كبير ينفع الله به الأمة أينما كانت وينفع الله به غير المسلمين أيضا حتى يفهموا الإسلام وحتى يعقلوه ويعرفوا محاسنه ويعرفوا أنه طريق النجاح في الدنيا و الآخرة." (من أقوال الشيخ ابن باز في الدعوة ص77)

* العمل الذي ينبغي أن يتبادر إليه هو إنشاء قنوات إسلامية بديلة عن القنوات الماجنة والمغرضة تخاطب الأسرة المسلمة بطريقة عصرية جذابة، وتلبي حاجات جميع أفرادها من برامج عقدية وفقهية واجتماعية جادة، وترفيهية بريئة وهادفة ، وبرامج وثائقية وتاريخية وعلمية، مع الاهتمام بالطفل المسلم بصورة خاصة، وانتقاء فترات البث المناسبة للمناطق المقصودة حتى تتم الفائدة المرجوة. كما يمكن تشجيع الاستثمار في هذا الجانب من قِبَل الدعاة المسلمين في أوساط التجار وأصحاب الثروات من المسلمين الغيورين الخيرين منهم.
* كذلك التعامل مع شبكة الإنترنت وتوظيفها لخدمة هذا الدين، وفي هذا الجانب هناك جهد جبار تقوم به بعض الهيئات والجماعات المسلمة في الشرق وفي الغرب أدى في كثير من الأحيان إلى فهم أحسن للدين الإسلامي. وهذا لا يمنع من إنشاء المزيد من المواقع الإسلامية لتفهيم الدين الصحيح والإجابة بطريقة علمية على استفسارات المتصفحين لها، خصوصاً إذا نظرنا إلى أن هناك الآلاف من المواقع التنصيرية واليهودية وغيرها من الديانات الوثنية والشركية ومواقع بدعية تعمل على تشويه الدين الإسلامي الحنيف وتناهض الدعوة السلفية الحقة .

ثانيا: التوصيات

1-إيجاد مجالس عليا للشؤون الإسلامية في جميع الأقطار الأفريقية لتكون قنوات تواصل بين الدعاة إلى الله في القطر الواحد، وتكون خطوة أولى لتشكيل مجلس للدعوة في أفريقيا يكون مسؤولاً عن التنسيق بين جهود العاملين في حقل الدعوة على مستوى القارة، وبوابة للتعاون على البر والتقوى.

2-إيجاد مؤسسات للتعليم العالي في عموم أفريقيا ووضع مناهج دراسية قوية ، مع توفير الكتاب النافع والمدرس الكفء للتدريس في تلك المؤسسات.

3-كفالة مزيد من الدعاة للدعوة في أفريقيا مع تزويدهم ببرامج عملية واضحة وتشكيل هيئة للمتابعة الميدانية مهمتها التوجيه والإرشاد والتقويم.

4-إقامة دورات عن جزئيات فقه الدعوة كدورة عن (فقه المصالح والمفاسد) ودورة عن (ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

5-إقامة دورات في الإدارة للدعاة إلى جانب الدورات الشرعية.

6-تكوين هيئات قطرية للتحكيم والمصالحة والفصل في النزاعات الواقعة بين الأفراد والجماعات الدعوية.

7-إنشاء قنوات فضائية إسلامية بديلة عن القنوات الماجنة والمغرضة تخاطب الأسرة المسلمة بطريقة عصرية جذابة، وتلبي حاجات جميع أفرادها من برامج عقدية وفقهية واجتماعية جادة، وترفيهية بريئة وهادفة ، وبرامج وثائقية وتاريخية وعلمية، مع الاهتمام بالطفل المسلم بصورة خاصة.

هذا والله أسأل أن يوفق الجميع لما فيه الخير للإسلام والمسلمين

دكار في 1423/6/11هـ = 2002/8/19م

وكتب: أبو إبراهيم/

د.محمد أحمد لوح